مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 7 (رت 69) السنة: 2022

تقديس المرأة بين الأسطورة السومرية و الأسطورية المصرية

ـ إنانا و إيزيس ـ

The sancification of women between the Sumerian myth and the Egyptian myth Inana and Isis

وهيبة بوكرسي[1]
مخبر الدراسات العقدية و مقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ
Wahibaboukerssi55@gmail.com
أ.د طيبات لمير
مخبر الدراسات العقدية و مقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ
taiblam@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2021/07/25 القبول 2022/10/17 النشر على الخط 2022/11/05
Received 25/07/2021 Accepted 17/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص:

عرفت المرأة في الأسطورة السومرية و كذا المصرية تقديسا رمزيا؛منتقلةً به و منه من الأنثى و المرأة إلى الأم و الإلهة، هذه الأخيرة التي أسهمت بدورها داخل الأسرة و المجتمع؛ منتقلة بذلك إلى الدولة. حيث كانت الإلهة في صورة "إنانا"السومرية التي صوّرها السومري في عدّة أشكال و نسج لها الكثير من الأساطير التي صاغت لنا و أوصلت لنا هذا التقديس بصورته النصية و الرمزية، و كانت أيضا الإلهة في صورة "إيزيس" المصرية و التي صوّرها المصري بدوره في عدّة صور ترمز إلى الألوهية المهمة في التكوين الأُلوهي المصري من خلال التعاويذ و الترانيم التي تصوغ هذه القداسة.

فكانت بذلك الإلهة "إنانا" السومرية، و "إيزيس" المصرية أكثر صورتين أنثويتين و أموميتين شكّلتا مفهوم القداسة الأنثوية بعد المجتمع الأمومي الأوّل.

الكلمات المفتاحية: إيزيس،إنانا،السومرية، المصرية،الأسطورة، إلهة، تقديس.

Summary:

The woman in the Sumerian and Egyptian myth legend and so on became symbolically revered, moving from female and woman to mother and goddess, the latter, who in turn contributed within the family and society, moving to the state. The goddess was in the sumerian image of "Inana", portrayed by Sumerian in several forms and woven into many of the legends that were formulated for us and delivered this reverence to us in his textual and symbolic image, and was also the goddess in the image of The Egyptian Isis, which the Egyptian also portrayed in several images symbolizing the important divinity in the Egyptian divinity through spells and hymns that shape this holiness.

The Sumerian goddess Inana and Egypt's Isis were the most feminine and maternal images that shaped the concept of female holiness after the first maternal society.

Keywords: Isis, Inana, Sumerian, Egyptian, Legend, Goddess, Sanctification.

[1] المؤلف المراسل: **بوكرسي وهيبة** البريد الالكتروني: **Wahibaboukerssi55@gmail.com**

مقدمة:

ارتبط التصوّر الديني الأّول في حياة الإنسان البدائي بتقديس المرأة ،حيث كانت هذه الأخيرة بالنسبة لإنسان العصر القديم موضع حب و رغبة، و موضع خوف و من جسدها تنشأ حياة جديدة، و هي كإلهة و كبطل أسطوري عبّر عن حياة اجتماعية واقعية صُورت على شكل قصص و روايات تعبر عنها، "و هذا ما فسر العلاقة بين الأسطورة و التاريخ منذ القديم"[1]،و كيف حاول الباحثون من خلاله اكتشاف الحقيقة التاريخية الكامنة وراء الأساطير، سواء في تلك الأساطير البدائية أو الكلاسيكية، و قد وضّح ميرسا إلياد (1907 ـ 1986 م) في ذلك تفسيرا يرى أنَّ أبطال الأساطير الكلاسيكية ذاتها لم تكن في نظره رموزا لحالات أو أوضاع و ظروف ثقافية و اجتماعية معينة.بل كانت أيضا صورا للاحتذاء و التقليد و القدوة، فكانت ببطولتها تصورا للعديد من التفسيرات الأسطورية حينها و حتى بعدها. فإلى أي مدى قُدست المرأة في الأسطورة المصرية و السومرية؟

كانت المرأة كبطل و كرمز أسطوري، هي من اكتشف الزراعة، و كان لكل هذا أثره على التكوين النفسي و الروحي و الديني للإنسان.[2] و من منطلق الأمومة الزراعية نتجت الألوهة الأمومية، كبداية لتقديس المرأة .

1: آلهة الأمومة:

كان الاعتقاد سائدا حتى أواسط القرن التاسع عشر، بأنَّ العائلة و بشكلها الأبوي القائم اليوم، قديمة قدم المجتمع الإنساني، وأنَّ المجتمعات الأولى قد تشكلت في بداياتها نتيجة لتجمع عدد من هذه العائلات و تزايدها تدريجيا،إلّا أنَّ هذه الفرضية التي تهاوت أمام النقد العلمي الذي وجهه إليها عدد من رواد الأنثروبولوجيا و العلوم الإنسانية الأخرى، بما قدّموا في دراستهم من أدلة كافية على وجود شكل أقدم من أشكال العائلة سبق شكلها الأبوي الحديث نسبيا.

و هذا الشكل لا يقوم على قيم الذكورة و سلطة الأب، بل على قيم الأنوثة و مكانة الأم.و إنَّ التجمُّع الأوّل لم يؤسس بقيادة الرجل المحارب الصيّاد، بل تبلور تلقائيا حول الأم التي شدّت عواطفها و رعايتها الأبناء حولها في أوّل وحدة إنسانيّة متكاتفة هي العائلة الأمومية.

فمن خلال المجتمع القديم المتمركز حول الأم،فاضت طبائع المرأة و صفاتها لتصيغ حياة الجماعة و قيمها و علاقتها و نظمها و جماليتها، فحب المرأة لأطفالها هو العاطفة التي ميّزت علاقاتها بالمحيط الأوسع، و هو النموذج الأساسي للعلاقات السائدة بين أفراد ينظرون لبعضهم على أنّهم إخوة في أسر كبيرة تتسع لتشمل المجتمع الأمومي صغيرا كان أم كبيرا[3]

و انطلاقا من هذا،شغلت الإلهة الأم مكانة بارزة في أنماط العالم الميثولوجية كلها، بفضل وظيفتها الإنمائية.

في غالب الأحيان تكون الإلهة الأم هي زوجة الإله الذي يموت ثمّ يبعث حيا، و هي في الوقت عينه عذراء: "إنانا لدموزي"[4]و"إيزيس لأوزيريس ". و تمثل هذه الإلهة قوى الأرض المنتجة، بينما يرتبط الإله بتجدد الطبيعة في الربيع، و بالتعاقب الدوري للفصول، و تعدّ الإلهة الأم من أكثر الميثولوجيات الشخصية الإلهية الأنثوية الرئيسة.ففيها بالذات يتجسدُ عنصر الخلق في

---

1) علي القيم:المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة،دار الأهالي،دمشق،سوريا،ط2، 1997م، ص: 47.

2) خزعل الماجدي: السحر و الدين ـ في عصور ما قبل التاريخ ـ دار نينوى،دمشق، سوريا،ط1، 2017م، ص:225.

3) فراس السوّاح: لغز عشتار ـ الألوهة المؤنثة و أصل الدين و الأسطورة ـ دار علاء الدين،دمشق،سوريا،ط1،ص:28.

4) سيأتي ذكر تفصيل لهذه الأسطورة في نقاط محددة تعالج العنوان.

العالم[1]، و في مختلف الميثولوجيات المتقدمة جمّعت الإلهة الأم في ذاتها كثيرا من شتّى الشخصيات الإلهية الأنثوية: بدءا من أقدم إلهات الأرض، حتّى الأشكال المجرّدة التي ترمز إلى الحكمة الأسمى.

و على امتداد زمن طويل كان لكلّ شعب تقريبا إلهته الأم المبجلة التي كان لها كثرة من الأقاليم في شتّى القرى، و لم تبقَ هذه الشخصيات ثابتة لم تتغيّر على مرّ القرون، لكنّها كانت في الأحوال كلها مرتبطة بالطاقة الأنثوية التي تجلّت حتى في أثناء خلق العالم، و خلق النباتات، و الحيوانات و البشر،و الآلهة، و في التجدد السنوي للطبيعة، ففي طور الحضارة و الحياة المدنية، و الثقافة المدنية، و الحرف و المعارف و الشرائع المكنونة، و عدّت المدينة بدورها في الحقب القديمة، رمزا للأم، فهي أيضا حمت وراء أسوارها السكان، كما تحمي الأم أطفالها[2]

ويذهب"خزعل الماجدي" إلى القول بأنَّه "لو تأمَّلنا أهم عناصر دين الباليوليت[3] الأعلى تاريخيا (النار، الحيوان، المدفن، الكهف، المعبد، الكهفي، الدمى الأنثوية) لرأينا أنَّ هذه العناصر تبدو كما لو أنَّها تشكُّلُ عالم الرحم عند المرأة، و يوضح كذلك أنَّ النار دلالة على دفء الرحم و حرارته الثابتة و الحيوان دلالة على التشكُّل الجيني الأوَّل الذي هو واحد في جميع الحيوانات ذوات الرحم و يقترب من الشكل الحيواني في تلك البدايات، أمَّا المدافن و الكهوف و المعابد الكهفية فهي الرحم نفسه الذي لجأَ إليه الإنسان في حياته و عبادته، و يعطي الكهف صورة رمزية للرحم الذي يختبئ في أحشاء الجسد و يخفي فيه أسرار الحياة و الولادة، و لا شك في أنَّ جدران الكهوف، التي جسدت الرسوم الأولى للإنسان بطبيعتها و أشكالها التجريدية أحيانا، تعبّرُ عن تلكَ الرؤى الأولى لعالم الرحم الذي يزخرُ بعناصر الحياة[4]

ففي عصر النيوليت في زمن العصر الحجري الحديث :(8000ق م ـ 500 ق م)، عُرفت المرأة بمفاهيم مختلفة و متطورة، حسب مراحل محددة، فقد كانت الأنثى المسيطرة (الإلهة الأنثى سيطرة المرأة) التي أتت هذه المرحلة بعد مرحلة اكتشاف الزراعة، و لهذا ارتبطت أهمية المرأة بالزراعة كونها هي أوّل من اكتشفها، ثمّ صارت هي التي تمثلها بالخصب و الولادة. عرفت أيضا المرحلة الثانية بمرحلة المجتمع الأمومي، و الذي عبّر عن أهمية الأم في الأسرة.

بعدها و تحديدا:8000 ـ 6000 ق م :جاءت مراحل: الخصب و الزراعة، ثم مباشرة: عبادة الإلهة الأم.

6000 ـ 5800 ق م:ظهر أوَّل معبد يحتوي على تمثيل أنثوية و ذكرية و عقائد ما بعد الموت و بدايات عبادة القضيب و المزارات و المدافن.

5800 ـ 5100 ق.م ظهر أوَّل رسم لملامح وجه بشري بملامح كاملة و ملونة لدمى الإلهة الأم الواقفة

و أيضا تصور لممارسة الزواج المقدس

5100 ـ 4900 ق.م ظهور تماثيل الأم الإلهة البدينة (عشتار).

---

1) كانت إنانا العنصر المهم في مجموعة تكوين الخلق السومري، و كانت إيزيس الأقنوم الرئيس من أقانيم الخلق المصرية.

2) م.ف. ألبيديل:سحر الأساطير ـ دراسة في الأسطورة و التاريخ و الحياة ـ تر:حسان ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين

3) عصور الباليوليت أو العصر الحجري القديم مصطلح مستخدم منذ نحو منتصف القرن التاسع عشر، و هو ذو أصل يوناني، و هو العصر الذي يمثّل المرحلة الأولى و الأطول.

8) خزعل الماجدي،متون سومر ،ج1، دار الأهلية، بيروت، لبنان،ط1، 1998م،ص:15.

من هذا الموجز التاريخي يوضع تطوّر التصور الأمومي عبر التاريخ النيوليتي[1]، فصورة الإلهة الأم كما مثلتها دمى الطين في عصور ما قبل التاريخ، استمرّت خلال العصور التاريخية اللاحقة في سومر، و مضمون الدعوات و الصلوات التي كانت ترفع لها الطقوس و التي كانت تقام لأجلها، فهناك تفاصيل وافية التي يستطيع أي باحث من خلالها تتبع التقديس الذي لحق المرأة التي اعتبرت إلهة و ربة و أُما.

و الذي يلفت النظر أنَّ الصورة التي تخيّلها الإنسان للإلهة الأم في الأسطورة السومرية مثلا، "بقيت في ذات الصورة التي يمكن أن توجد في رقم الطين المسمارية المكتوبة عن الآلهة الأم بعد خمسة آلاف سنة أو أكثر من هذا التاريخ" و خير مثال على ذلك الأسطر الواردة في دعاء للإلهة الأم في حدود 1800 ق م، و التي عبّر من خلالها إنسان ما قبل التاريخ عن الخصب بالسمنة المفرطة،أو الثديين الكبيرين.

تماثيل حجرية تمثل الآلهة الأم في العصر النيوليتي.

فمن خلال هذا، يعد ظهور التماثيل الأنثوية النيوليتية في عدَّة وضعيات ممثلة للإلهة الأنثى و عكس ملامح دينية في عبادة الخصب واسعة الانتشار، و دلَّ بالتالي على أنَّ المرأة و ارتباطها بالخصب و الولادة كانت المثال الأقرب شبها للطبيعة فهي تشبه دورة الخصب و الإثمار و الربيع و عودة الحياة، خاصة مع عدم وضوح الدور الذي يلعبه الرجل في هذا بالعودة للتباعد ما بين فترة التزاوج و الولادة، و كل تلك التطورات التي تطرأ عليها و لا تطرأ على الرجل، كل ذلك جعل من المؤكد أنَّها الإلهة المسؤولة في مخيال الإنسان آنذاك عن الخصب في الكون على مستوى الأرض و على مستوى السماء.

و يذكر فراس السواح في كتابه: لغز عشتار، أنّ "عشتار" و التي هي "إنانا" حافظت تماثيلها في العصر النيوليتي على كثير من خصائص "عشتار" (إنانا) العصر الباليوليتي، و ذلك من حيث التركيز على مناطق الخصوبة ـ كما تمثلها الصور المرفقة في آخر البحث ـ و إبراز هذه المناطق في مقابل بقية الأعضاء، و هي أيضا في وضعية المرأة الممسكة بثدييها العاريين، و التي ستكون لدى كل ثقافات الشرق القديم تقريبا كرمز لخصب الآلهة الأم[2]

و يظهر تقديس المرأة باعتبارها العامل الحاسم في الإخصاب و الإنجاب بمظهر زراعي إلاهي في ظهور عبادات الخصب، التي كانت الأم محورا لها. و عبادة الإلهة الأم تشكل نواة الديانة الزراعية التي كانت تحوّلا نوعيا عن الديانات السحرية التي سادت في العصور الحجرية القديمة.

---

1) العصر النيوليتي، أو عصر ما قبل التاريخ، هو تعبير عن الأزمنة التي سبقت اكتشاف الإنسان للكتابة.

2) فراس السواح: لغز عشتار ـ الألوهة المؤنثة و أصل الدين و الأسطورة ـ،مرجع سابق،ص: 27.

و ارتباط الزراعة بالمرأة و بالآلهة الأم، يحمل معنى جنسيا عميقا يؤكد فكرة التجانس الجنسي الكوني، و لذلك استوجب هذا حضر العامل الذكري[1] ـ كما أسلفنا الذكر ـ و الذي جاء التأكيد عليه لاحقا جنب العامل الأنثوي و هذا ما تؤكده الأسطورة السومرية، و كذا الأسطورة المصرية في مثالي: "إنانا" و "إيزيس"، مع رمزيتهما الذكريين: "دموزي" و أوزير"و هذا الذي سيظهر مفهومه في أسطورة "إنانا"السومرية مع دموزي الراعي إله الخصب،وفي أسطورة "إيزيس" مع "أوزيريس".

و من خلال البحث في موضوع قداسة المرأة في الأسطورة السومرية ننطلق من أنَّ الأسطورة حالة ذهنية أو عقلية مكملة للفكر العلمي من حيث أنها تنبع من الرغبة في الإيمان الذي يساعد الإنسان في مواجهة الأزمات.

و النصوص المقدسة المختلفة التي وصلتنا هي المثال و الدليل الذي جعلنا نتصوّر فكرة التقديس التي مسّت المرأة و جعلتها الأم، و الإلهة و المحاربة و المعالجة و ربّة الإخصاب المسؤولة عن الحكم.

و لقد كان الفكر الأسطوري السومري، الأساس الأّول في التعرف على تدخل المقدّس و القوى الإلهية في زمن البدء في عملية التكوين و الخلق، و تنظيم الحياة على الأرض، بتدخل الآلهة التي علمت الإنسان الزراعة.

و القوى الفاعلة في هذا كلّه، القوى الكاشفة عن نفسها في الخصب المتعلق بالمرأة و الأم،في الميلاد و في الحياة الجديدة، هي جوهر الأرض.

و يرجع السبب في تمييز المرأة، و إعطائها الدور الرئيس في الخلق و التكوين، و تسيير شؤون الحياة المختلفة، إتاحة الفرصة للإلهة الأم القدرة أو الفعالية في أحد الأمرين الآتيين أو كلاهما و هما:

1. الخلق، و فيه تتحقق القدرة على الإبداع و منح الحياة.
2. الإنجاب، و تتجلّى به قدرة الآلهة الأم على حفظ استمرارية الحياة، كما تثبت به صفة الأمومة الملازمة لها.

و يفترض أن تتوفر في الآلهة الأم واحدة أو أكثر من الخصائص:

1. كونها الأصل في الكون أو المظهر الأوّل فيه، و ما المظاهر الكونية الأخرى سوى تفرعات عنها.
2. دورها المؤثر في إدامة حيوية الآلهة الأخرى و التحكّم بها، و كذلك حفظ حياة البشر و سائر المخلوقات بشتى السبل، مثل التأثير في خصب الطبيعة، و زيادة القدرة على التكاثر، و المساعدة على نمو الأطفال و إرضاعهم.
3. و تكون الإلهة الأم، هي زوجة الإله الرئيسي في مجمع آلهة أيّة ديانة، بذلك فإن مكانتها تستمد أهميتها من مكانة زوجها و مركزه.

و من هذا فإنّ عبارة المرأة في هذه الفترة الزمنية كانت تشتمل على أبعاد كثيرة منها:

البعد الشخصي و الرمزي و الوظيفي،و بخصوص البعد الشخصي فإن الإلهة "إنانا" كانت تمثل الأنثى بكلّ قابلياتها و مداركها ودوافعها الباطنية و غرائزها، و هي تجمع في شخصيتها كل الحالات الإيجابية و السلبية للمرأة، و بعبارة أخرى الحالات النفسية التي تمر بها المرأة باستثناء ما يطرأ عن الحمل و الولادة، نراها قد برزت و ضخمت ثمّ جسدت بالإلهة "إنانا"

أمّا البعد الرمزي لها، فكانت على وجه الدقّة تمثل "الإلهة المراهقة" ثمّ "الإلهة المرأة" و قد تمثل البعد الثالث، أو البعد الوظيفي للإلهة الأم في مسؤولياتها، و المهن و الأعمال التي تقوم بها و الواجبات الملقاة على عاتقها، و دورها في الحياة العملية المختلفة.

---

1) خزعل الماجدي:كتاب إنكي ـ الأدب في وادي الرافدين ـ ، ج2، المركز الثقافي العربي، بيروت،لبنان، ط1، 2012م، ص:642.

في الأسطورة السومرية نجد الإلهة الأم أو الربّة الكبرى قد صارت إحدى آلهة المجمع الكوني، بعد أن كانت في العصر الحجري الحديث "النيوليتي" أنثى كونية عظمى ـ كما أسلفنا الذكر ـ و هي منشأ الأشياء و مردّها، عنها تصدر الموجودات، و إلى رحمها يؤول كل شيء كما صدر.

غير أنَّ هذا التحوّل في مكانتها في سومر، لم يتم إلّا على النطاق الرسمي، بينما بقيت مكانتها القديمة على حالها في ضمير النّاس عامة ممن لم يتوجهوا إلّا إليها عند الخوف و اليأس و أزمنة الشدّة.

2:إنانا في الأسطورة السومرية:

الإلهة الأم في سومر تسمى"كي"[1] ثم انتقلت إلى "ننخرساج"[2] بمسمياتها الكثيرة هي الإلهة الأم، أمَّا الإلهة العذراء أو الإلهة البنت فقد احتفظت بها الإلهة "إنانا"[3]ملكة السماء كما توصف و كما سمّاها صموئيل نوح كريمر في كتابه:(إنانا ملكة السماء و الأرض)، و التي ظلت لفترة طويلة تمثل الصفات المضادة للأمومة، لكن هذه الصورة التي انشطرت إلى شكلَي الحب و الحرب، لم تبق هكذا، بل حازت "إنانا" على صفات الأمومة أيضا لا بفعل داخلي منها، بل في محاولة لامتصاصها لكل أنواع الألوهة المؤنثة، و نجد صفات إ"نانا" تحوز على ذات الصفات التي وجدت ماثلة في الأشكال الطينية للإلهة الأم و التي ذكرناها سابقا، و الأسطر التالية التي سنقتبسها من دعاء سومري كُتب إلى الإلهة إنانا في حدود 1800ق م يعبر عن هذا:

أيتها السيدة، إنَّ ثدييك هما حقلك

و حقلك الواسع الممتدُّ الذي يسكب الحنطة

و الماء متدفقا من العلى للمولى و الخبز من العلى

الماء متدفقا من العلى للمولى و الخبز من العُلى

اسكبي للمولى المأمور ليشرب منك[4]

فهذه الأنشودة أو المقطع من الأسطورة و أساطير أخرى، الواردة عن "إنانا" هي قصص سريعة دارجة تمَّ دمجها لتمثّل في الغالب مظاهر دينية و اعتقادات سياسية ظهرت في بلاد سومر، هما علامتان ظهرتا في العصور القديمة التي سبقت الميلاد، في تلك الفترة البعيدة ظهرت دويلات صغيرة متناثرة حول سومر التي بذلت محاولات كثيرة لتوحيدها و إقامة مراكز سيطرة مركزية حضارية وسياسية واحدة، اعتقدت أنها ذلك النموذج الذي يقدم المزيد من الازدهار لشعوب تلك الدويلات بما يضفي عليها هالة من

---

1) ربة السومريين التي جسدت الأرض، نقلا عن: ماكس شابيرو: معجم الأساطير، ص: 147.

2) التي تعني سيدة الجبل، و لها أسماء عديدة تتصف و تدل على أنها الإلهة الأم، و كانت "ننخرساج" في معتقدات سومر تشترك مع الإله إنكي في أعمال خلق الآلهة و البشر و نسبت إليها أدوار خلق الإنسان في الأساطير القديمة، و بعدها قامت بدور الإلهة الأم.

3)من المعروف أنّ الإلهة "إنانا" حسب قوائم الأنساب للآلهة أنّها ابنة "سين" إله القمر، و أنَّ أمها "ننكال" و أنَّ لها أخا هو "أوتو"إله الشمس، غير أنَّ بعض الأساطير تنسبها خلافا لذلك فتجعلها مرة ابنة لآنو و مرة زوجة له، و ينبغي أن يلاحظ أن مثل هذه الاختلافات ليست على قدر كبير من الأهمية ذلك لأن منزلة الآلهة و علاقة بعضها مع البعض الآخر غير ثابتة دائما، فهي تتغير أحيانا تبعا للمؤثرات السياسية و الكهنوتية.

4) خزعل الماجدي،كتاب إنكي ـ الأدب في وادي الرافدين ـمرجع سابق، ص:641.

السمو الروحي و خاصة على مكانة الآلهة المحلية، حيث عملت الرؤى على توحيد التكوين الروحي لتصبح "إنانا" آلهة سومر الأكثر شعبية.

يروي الشاعر في أحد المدونات الأدبية التي تتحدث عن دور الربة "إنانا"، حيث لم تسمح لنفسها بالنوم بل تسهر على أن تجعل من "آكاد" أعظم مدائن البلاد"

أن يجمع كل شيء في المخازن،

أن تكون مدينتهم موطنا راسخ الأركان.

أن يأكل أهلها مأمون الطعام.

أن يشرب أهلها مأمون الماء.

أن تشيع الرؤوس المستحمة البهجة في الساحات.

أن يزيّن الناس مكان الأفراح..

في تلك الأيام امتلأت آكاد بالذهب.

بيوتها المضيئة المشعة امتلأت بالفضة

إلى عنابرها جيء بالنحاس و الصفيح و حجر اللازورد

صوامعها انتفخت من كل جوانبها[1]

كان مركز عبادة الآلهة "إنانا" في مدينة الوركلاء، و أهم الأسباب التي أعطت مدينة الوركلاء شهرتها و أهميتها، اتخاذها منذ أقدم الصور مركزا لعبادة الآلهة "إنانا"

و هذه الصورة جعلت إنانا توصف بملكة السماوات و الأرض و في مقطع هذا النص الذي يظهر (إنانا) و هي تظهر للنبيل "لوكيوس" بهذا الوصف كملكة،تلبية لصلواته و دعواته، و هي ترفع عنه السحر يرد عليها:

"أيا ملكة السماء المباركة، بأي اسم تحبّين أن أدعوك، هل أدعوك "سيريس" أم المحاصيل التي لعثورها على ابنتها "بيرسفوني" أعطت النّاس قمحا و خبزا بعد أن كانوا يلتقطون جذور البلوط البسيط طعاما، هل أدعوك فينوس النورانية، التي منذ بدء الخليقة جمعت بين الذكر و الأنثى برباط الجنس و الحب، فقدرت بذلك استمرار نسل البشر إلى الأبد؟ هل أدعوك أرتميس أخت "أبولو" المنير، مخففة آلام النساء عند المخاض؟" لترد عشتار (إنانا) على النبيل :"أنا الطبيعة، الأم الكونية و سيدة الموجودات جميعا، ابنة الزمن البدئية و ربّة كل شيء حي، ملكة الأموات، و ملكة أهل الخلود، أنا التجلّي الأوحد لكل الألهة و الآلهات، حاكمة السموات العليا و بحار الأرض، و العالم السفلي، يعبدني الجميع في وجوه متعددة و تحت أسماء كثيرة، و يتقربون إلي بطقوس مختلفة في جميع أرجاء الأرض،و المصريون المتفوقون في الحكمة القديمة، فسيدعونني باسمي الحقيقي: الملكة "إيزيس" و يعبدنوني بالطقوس اللائقة بي"[2]

1) صموئيل نوح كريمر: طقوس الجنس المقدس عن السومريين ـ إنانا و دموزي ـ تر: ناهد خياطة،دار رسلان، ط1، 2007م، ص:48.

2) فراس السواح: لغز عشتار،مرجع سابق، ص:99.

كتبت الكثير من الأساطير عن الإلهة إنانا منها التي جعلتها بصورة المرأة، و منها التي جعلتها بصورة الأنثى التي تنزل لعالم سفلي من أجل "دموزي" و عملت على جعلها تصبح إلهة سومر الأكثر شعبية سنذكر منها الأهم و الفاصل أسطوريا فقط[1]

تمثالان للإلهة إنانا يرمزان للخصب و الأنوثة

أ:أسطورة إنانا و الآلهة:

حيكت العديد من الأساطير حول الإلهة إنانا و الآلهة التي اتصلت بها، فقد كانت أوّل هذه الأساطير مرتبطة بنسبها الإلهي مع الإله "إنليل"[2] و "إنكي"[3]هذا الأخير الذي سلّم إنانا النواميس المقدسة الكهنوتية و الألوهية و التاج الخالد و عرش الملكية، و يتلخص هذا في نص سومري يقول إنكي فيه:

سأمنح ابنتي إنانا

كهانة السماء المقدسة

إصدار الأحكام، إصدار القرارات[4]

كانت علاقة إنانا بالإله "آن"[5]مثار جدل بين باحثي السومريات، و قد اتفقت الآراء على أنَّ "إنانا" هي إبنة الإله "نانا القمر"، و لكنّها بسبب المكانة العظيمة التي حازت عليها، ارتبطت بالإله "آن" في بعض الأساطير كزوجة أو كعشيقة، فقد روت أسطورة مدوّنة باللغتين السومرية و الأكدية اسمها:"السيّدة المتعالية التي هي وحدها العظيمة" أنَّ الإله "آن" رفع "إنانا" على ضوء طلب

---

1) إنَّ أسطورة إنانا التي تمَّ الكشف عنها و نشرت بشكل متكامل و جديد مثلّت المفتاح الرئيس لفهم أسطورة بلاد الرافدين، تتألف الأسطورة من أكثر من أربعمائة بيت يتكّون منها النص بشكل تقريبي يتضح التكامل المطلوب، تمّ تجميع الأسطورة على أكمل وجه من أكثر من ثلاثين لوحا، بعضها كان بمثابة أجزاء محطمة، شارك في عملية تجميع تلك الألواح عدد كبير من التلاميذ الذين كانوا يدرسون علوم الحضارات القديمة و يشاركون في التنقيب عنها، أغلبية الألواح أو أجزاء منها كتب بشكل أصيل و بواسطة المهتمين بالأساطير من الجيل السومري القديم الذي عاش قبل حوالي 1750 قبل الميلاد، كانت تلك الألواح المهمة مدفونة و منسية منذ أربعة آلاف سنة، تقريبا منذ خراب نيبور ـ نفر.

2) إله سومري،بابلي، و الاسم يعني (ان) أي سيّد،في اللغة السومرية، و (ليل) أي جو الأرض و ما فيه، و بهذا يكون معنى الاسم سيّد الفضاء، و هو يختص بكلّ سلطة فاعلة في الجو و المناخ.

3)معبود بابلي، و ثالث الآلهة الكبار لدى السومريين كذلك، (انو، انليل، انكي) و السام هو (ان كي) أي سيد الأرض. نقلا عن:حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة و معجم أهم المعبودات القديمة،دار الفكر اللبناني،بيروت،لبنان،ط1،1994م، ص:157.

4)خزعل الماجدي، الميثولوجيا السومرية،منشورات تكوين،ط2، بيروت، لبنان، 2019م،ص: 192.

5) إله السماء في الأسطورة الرافدينية، نقلا عن ماكس شابيرو، معجم الأساطير، مرجع سابق،ص: 36.

الآلهة إلى مرتبة قرينته (أنتوم) المعادلة لرتبته هو، و جعل منها نجمة السماء (الزهرة) و زودها بالإشارات الإلهية المناسبة. ثمَّ منحها الإله أنليل السيادة على الأرض. و يبدو أنّ الإلهة "إنانا" تحالفت رغم ذلك مع أخيها إله الشمس (أوتو) و مع أبيها إله القمر (نانا) و كوّنوا ثالوثا كوكبيا مضادا لإله السماء (آن)، لكنَّها عندما شعرت بثقل محاولتها تراجعت عن ذلك، و وقفت في نهاية الأسطورة مع (آن) و هي تحلم بسيادة السماء.

كانت للإلهة إنانا حسب الأسطورة السومرية مكانة متميزة بين الآلهة، و لم يأت ارتباطها بالإله (آن)[1] أيضا اعتباطيا، فقد ظهرت في بعض النصوص كزوجة له.[2]أو عشيقة. و كما تظهر أيضا في أسطورة أخرى مع دموزي كإله، في أسطورة خطبة إنانا حيث تعالج هذه الأسطورة التنافس الأزلي بين نمطي الزراعة و الرعوية، توشك "إنانا" في مستهلّ الأسطورة على اختيار زوج..و يقع اختيارُها على دموزي.

تقول الأسطورة:"إنانا" ترفض بادئ الأمر الراعي دموزي[3]،مما كلّف دموزي عناء حملها على تغيير رأيها،

لمَ أنت معرضة يا إنانا العذراء عن الراعي؟

اختاريه يا أختاه زوجا لك.

فهو صاحب اللبن الطيب، و الزبد الشهي.

و كلّ ما تعمله يداه جميل.

فلا تعدلي عن دموزي زوجا يا أختاه.

غير أنّ أخته "إنانا" تؤثر الفلاح على الراعي و تقول:

لن يكون الراعي زوجا لي

و لن يمسني و إن كان في أبهى حلله الصوفية

و لن أرضى لي زوجا بديلا عن الفلاح

هذا الذي يزرع الخضروات و الشعير و القمح.

كما و تظهر أيضا إنانا في صورة الإلهة التي تحتاج إلى مساعدة آلهة آخرين في "أسطورة إنانا و التنين كور"

فقصة أو أسطورة إنانا و التنين "كور"تأتي ضمن المحاولات الكثيرة التي حاولها الآلهة لقهر هذا التنين. و "إنانا" كانت واحدة من هذه الآلهة، حيث تتصدى له و تتغلّبُ عليه و تنال لقب "قاهر كور" و رغم أنَّ الإله كان يحذرها من المخاطرة، إلَّا أنَّها بحماس شديد ترميه بالحربة و ترميه و تدوسه بقدميها:

"سأرميه بالحربة الطويلة

و سأوجّه ضدّه كل أسلحتي

---

1)إله السماء في الأسطورة السومرية.نقلا عن ماكس شابيرو، معجم الأساطير،مرجع سابق، ص: 45.

2) الديانة السومرية،خزعل الماجدي،دمشق، سوريا،دار نينوى، ط:1 ص ص: 340 ـ 345.

3) يعني اسم دموزي باللغة السومرية (الإبن الشرعي) أو (الإبن البار) و حين انتقل الاسم إلى اللغة الأكدية أصبح يلفظ ب"تموز"، نقلا عن: خزعل الماجدي،أنبياء سومريون،ص:115.

و بالغابات المحيطة به سأضرم النار

و في .... سوف أغرس فأسي البرونزي

و كجبل آرتا سأنزع عنه هيبته

و لا ننسَ ذكر أسطورة تظهر فيها إنانا مع جلجامش[1]في أسطورة شجرة الحولوبو[2]حيث تحكي هذه الأسطورة عن إنانا في صورة المرأة الضاحكة و المرحة و السعيدة،التي أخذت شجرة الخالوب التي كانت تنمو على ضفاف نهر الفرات فاقتلعتها ريح جنوبية من جذورها، و رغم خوف إنانا من آنو و أنليل إلّا أنها أخذت هذه الشجرة إلى مدينتها أوروك و غرستها في بستانها المقدّس، و حلمت أن تكبر و تصنع من خشبها سريرا و كرسيا، و لكن لم يكن الذي تمنته، فقد استعمرت الأرواح الشريرة حسب القصة هذه الشجرة، فما كان من الإلهة :إنانا" إلّا أن تطلب من جلجامش البطل مساعدتها، و فعل ذلك و أنقذ الشجرة من الأرواح التي سكنت فيها، و لتكافئه على مساعدته صنعت إنانا لجلجامش بأغصان هذه الشجرة طبلا و مضربا لكنهما سقطا في العالم السفلي.[3]

ب: أسطورة هبوط إنانا إلى العالم السفلي:

قالت إنانا:

أنا ملكة دار السلام، ملكة السماء

سوف أزور إله الحكمة، سوف أمضي إلى الأبسو

أقدّم فروض الطاعة و الاحترام لإله الحكمة في أريدو،

أصلي لأنكي في أعماق المياه الحلوة العميقة

في بداية التكوين و الخلق، قسم الكون إلى ثلاثة عوالم:

السماء، الأرض،العالم السفلي

إنانا السيدة التي تصعد إلى السماء

السيدة النجمة المتألقة،

أغني ثناءك، إنانا المقدسة،

السيّدة المتألقة في الأفق[4]

من العظيم الأعلى فتحت أذنها، إلى العظيم الأسفل

---

1) جلجامش، أو كلكامش حسب الترجمة العربية،هو حاكم أوروك، المعروف بطغيانه، و اشتهرت بع أسطورة الخلود التي تحكي قصته حين بحث عن عشبة الخلود بعد موت صديقه.ذكر في العديد من الأساطير الأكدية و السومرية بروايات عديدة، البطل،الحاكم، و منقذ الإلهة إنانا و عشتار.

2) يعود هذا النص السومري بتاريخه إلى فترة التدوين السومرية خلال عصر أسرة أور الثالثة في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، نقلا عن: فراس السواح: مدخل إلى نصوص الشرق القديم،دار علاء الدين،دمشق، سوريا،ط1، د س، ص:209.

3) ناجح المعمور: تقشير النص ـ قراءة في أسطورة إنانا و جلجامش و شجرة الخالوب ـ،دار المدى،بيرت، لبنان،ط1، 2012م، ص ص:25، 26.

4) صموئيل نوح كريمر: الأسطورة السومرية ـ ـ إنانا، إرشيكيكال، ديموزي ـ تر: شاكر الحاج مخلف،ط1،دمشق، سوريا،2016م ص:178.

الآلهة العظمة فتحت أذنها إلى العظيم الأسفل،

إنانا

من العظيم الأعلى فتحت أذنها إلى العظيم الأسفل،

السيّدة المقدسة،

هجرت السماء،

نزلت إلى العالم إلى العالم الأسفل،

تخلّت عن مكانتها المقدسة في السماء،

عن كل مقرّاتها،

نزلت إلى العالم الأسفل،

شدت النواميس السبعة إلى وسطها،

جمعت في يدها كل النواميس[1]

إنانا آلهة الحب التي تشكلت من كل تفاصيل الحياة[2]

يوضح النص أولا مكانالعالم السفلي و هو مكان معروف في الأسطورة السومرية، و هو العالم الذي يحتوي على أرواح الموتى، و هو المكان الذي يعرف ب"كور"و التي تعني المكان الفارغ بين سطح الأرض و البحر الأوّل[3]

و الأسطورة النموذجية حول :إنانا" و العالم السفلي ـ حسب النص ـ و نصوص أخرى، هي "أسطورة هبوط إنانا إلى العالم السفلي"، التي تأتي في سياقها الصحيح، بين حب و زواج دموزي من "إنانا"، و حكم "إنانا"عليه، بعد أن خرجت من العالم الأسفل، بأخذه إلى هنا بديلا عنها، ثمَّ مطاردته و موته و مراثيه.

تبدأ الأسطورة من رغبة أو توق الإلهة "إنانا" للهبوط إلى العالم الأسفل، و هناك آراء كثيرة حول سبب "هبوط إنانا إلى العالم السفلي"، فهناك من يرى أنَّها ذهبت لتسيطر على هذا العالم و تحكمه بدلا من أختها "أريشكيجال"، و هناك من يرى أنَّها ذهبت لتقيم عالم الأموات كنوع من النشور،لأسباب معينة و يرى "كريمر" بأنَّ الدافع قد يكون الطموح و الرغبة في إخضاع العالم السفلي إلى سلطانها، و لكي تقي نفسها شر أية فواجع قد تتعرض لها في العالم السفلي توصي "إنانا" وزيرها بأنّها إذا لم تعد خلال ثلاثة أيام فعليه أن تؤدي شعائر الحداد لها...

و هناك من يرى أنَّها ذهبت لتنال الخلود، و الرأي الأخير فيه ضعف كونه لا يتناسب مع إلهة خالدة أصلا مثل"إنانا".

هجرت إنانا السماء ـ حسب الأسطورة ـ و تركت الأرض لتكمل سيطرتها على الأرض و أصابها نوع من الأذى الجسدي، إلّا إنها هنا هبطت من الأرض إلى العالم السفلي، و سيصيبها أيضا أذى جسدي أكبر من الموت، و في كلا الحالتين يقوم الإله "إنكي"[4]

---

1) صموئيل نوح كريمر: إنانا ملكة السماء و الأرض،مرجع سابق،ص:112.

2) صموئيل نوح كريمر: الأسطورة السومرية ـ إنانا، إرشيكيكال، ديموزي ـ مرجع سابق، ص:156.

3) صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر،تر:طه باقر،تق:أحمد فخري،(دون معلومات طبع) ص:314.

4) أحد أهم الآلهة في الأسطورة السومرية، و هو الراعي الأكبر لأوريدو. نقلا عن:ماكس شابيرو: معجم الأساطير،ص: 123.

بمساعدتها.و من قبل الهبوط إلى العالم الأسفل تقوم بعملين: أولهما أنَّها تربط إلى جسدها نواميس الزينة المقدسة، ثمَّ تضع في يدها بقيَّة النواميس المقدسة الأخرى.

و ثانيهما أنَّها توصي وزيرها بأن يملأ السماء صراخا، و أن يبكي في بيت الآلهة، و يلبس ثوبا ممزقا، ثمَّ يذهب إلى أنليل، و يخبره بأنَّ إنانا ذهبت إلى العالم الأسفل، و أن يقوم بمساعدتها و يمنع موتها، و إن لم يستجب "أنليل" فعليه الذهاب إلى الإله نانا، إله القمر، و إن لم يستجب فعليه الذهاب إلى الإله "إنكي" إله الحكمة، الذي يعرف طعام و ماء الحياة ليعيدها إلى الحياة، و هذا يعني أنَّها كانت تعرف مسبقا بأنّها ستموت، و لذلك فإنَّها ذهبت متحديةً قوانين العالم الأسفل.

دخلت إنانا إلى قلب العالم الأسفل و هي عارية و مجرّدة من نواميسها المقدسة،و عندما دخلت إلى قصر أريشيكيجال كانت الأخيرة بانتظارها جالسة على عرشها يحيط بها الأنوناكي[1]حيث قاموا بتوجيه نظرة الموت إلى إنانا، ثمَّ أطلق كلمة:"تعذب الروح" فتحوّلت إنانا المتعبة إلى جثّة، و شدّت هذه الجثّة إلى عمود منتصب..[2]

و الخلاصة المركزة للأسطورة تتمثل في رغبة الآلهة "إنانا" بالسيطرة على العالم السفليـ حسب الأسطورة السومرية ـ من خلال عوالم عديدة ، قد اكتملت خلال هبوطها إلى العالم السفلي الذي يرمز إلى الرغبات المكبوتة المحمّلة بالشعور بالذنب،و بعذاب الضمير المتجاوز للحدود[3]، لتصور رحلة الروح إلى العوالم المجهولة، و عندما تعود من رحلة العالم الأسفل، إلى مكانها في الجنّة، تكون هي أكمل روحا، و ذلك ينعكس على فكرتها اللاهوتية، التراتيل إلى "إنانا" تقرّ بإنجازاتها التي لا تعدّ و لا تُحصى و لها خصائصها تلك السعيدة الخصبة، المحبة المتعالية، الحكيمة.

ج: إنانا إلهة الخصب السومرية:

يرى السومريون، أنَّ الخصب ليس خاصية في التربة نفسها و لكنه قوة كونية،جرى تجسيدها في آلهة أنثى و التي هي "إنانا" و لما كانت خصوبة الأرض و المرأة هي محور الإنسان في هذا العالم فإنّ "إنانا" كانت قوة أساسية في هذا الكون و محركا ديناميكيا فعالا لأحداثه و العذراء لقبها، و العذرية جوهرها رغم أنّها ترمز للجنس و الخصب و الحب، فهذا الجوهر لا يبد له لقاء عابر و لا حمل و لا ولادة، و تبقى عذريتها رمز إخصابها الأبدي.

لم يتم بالفعل تحطيم صورة الأم الكبرى و تشتيتها إلى صور مختلفة تحت أسماء متعددة، إلّا على النطاق الديني الرسمي، لأنَّ صورتها الأولى كأم واحدة للكون و البشر قد استمرّت في الضمير الشعبي، و استمرّت معتقداتُها و طقوسها و عباداتها قائمة إلى جانب العبادات الرسمية ثمّ تحوّلت في الفترات المتأخرة إلى عبادات سرية تمارس في الخفاء.[4]

---

1) القضاة السبعة الذين يصدرون الأحكام على كل من يتجاسر و يذهب إلى هذا العالم متحديا، و هو اسم يمثل آلهة البانثيون السومري، يجتمعون برئاسة "آنو" و "أنليل" ولدوا من "انشار و كيشار"و هم أرباب الأرض حسب الأسطورة البابلية و آلهة للعالم السفلي، و هم الذين يقررون مصائر البشرية في مجلسهم.نقلا عن: معجم الأساطير: ماكس شابيرو، رودا هندريكس، تر: حنا عبود،دار علاء الدين،دمشق،سوريا،ط2، 2018م، ص:40.

2) الميثولوجيا السومرية، خزعل الماجدي ،بيروت،لبنان،دار الرافدين، ط2019،2م،ص ص:418 . 419.

3) ديوان الأساطير ـ أناشيد الحب السومرية ـ ، قاسم الشوّاف،ج1، تق: أدونيس، دار الساقي،بيروت،لبنان،ط1996،1م،ص:17.

4)لغز عشتار، فراس السواح، مرجع سابق،ص:

تماثيل متنوعة تمثل صورة إنانا (عشتار) التي عبدت في أماكن مختلفة من بلاد الرافدين على فترات زمنية مختلفة، و هي تمثّل أسطورة الخصب

يعتبر فراس السواح نقلا عن صموئيل نوح كريمر،أنَّه لا يوجد نص واحد مطرد يعطي صورة متكاملة عن أسطورة الخصب التي تدور حول دورة حياة الإله الراعي دموزي[1]، و علاقته بإنانا، و لكن يمكن إعادة بناء هذه الأسطورة اعتمادا على عدد من النصوص التي تحتوي ضمنا على ما يشير إلى كونها سلسلة في أسطورة طقسية واحدة تتكشف فصولها تدريجيا، و هي ترسم في مجموعها سيرة حياة الإله التي تبدأ بحب مستعر بينَه و بين "إنانا".[2]

د: أسطورة الإلهة المؤنثةّ إنانا"من خلال طقوس الزواج المقدّس:

لا يمكن الحديث عن أسطورة الخصب السومرية المتعلقة بالإلهة "إنانا"دون الحديث أيضا عن النصوص المتعلقة بالزواج المقدس و المتصلة مباشرة بالإله "دموزي"، اتصالا رمزيا و دينيا، يكمن الاتصال الرمزي كونه المنتقل من الفلاح المزارع، إلى الإله المحب لإنانا في نصوص تحكي عن حبهم المتصل بالخصب الأرضي منتقلا للخصب البشري الذي يضمن استمرار الوجود.

و قدّمت لنا النصوص السومرية المرتبطة بما سمّي بالزواج الإلهي أو الزواج المقدس في الفترة السومرية، أناشيد عن الحب المتبادل بين رجل و امرأة يرمزان إلى إله و إلهة، ثمّ بواسطة اتصالهما الجنسي يخصب كافّة البلاد،الطبيعة و الحيوانات و البشر، و هذا التقليد هو سومري الأصل كما يعتقد، و على اعتبار أنّه كان يحمل كل الخير و الرخاء و الكثرة للبلاد،فقد عبّرت عنه النصوص السومرية.[3]

---

1) دموزي يمثل الرمز الواضح للمنتج الزراعي، الفلاح الحبيب المرافق للإلهة "إنانا"، يمثل شريحة من البدو الشماليين الذين وفدوا إلى سومر الواقعة جنوب "أريدو" كما يوصف بالراعي الفلاح، و الثور السماوي النجمي، و الملك أيضا، و هو الذي شغل عقل إلهة سومر "إنانا".

وّ دموزيّ هو النموذج الأصلي لكافة آلهة النبت الذين يموتون و يبعثون ثانية مع انبعاث النبت في الربيع، و في شكل الأسطورة الذي ينطوي على تقديم القرابين المقدسة لدموزي، يكون سجن الإله في العالم السفلي، دافعا أساسيا للأسطورة و سببها في هبوط "إنانا" إلى العالم السفلي.

و يرى "نائل حنون" في بحث نشره في مجلة سمر بعنوان:"هل كان تموز(دموزي) في عقائد السومريين إله الخصوبة أو من آلهة الموت" و وصل إلى نتيجة مفادها أنَّ "دموزي" عرض بثلاثة مظاهر: الإله الراعي حبيب الإلهة "إنانا" و خطيبها و زوجها فيما بعد، إله من آلهة العالم السفلي عالم الأموات، وكان يتعرض سنويا للموت مع ذبول الخضرة خلال فصل الصيف و يقوم ثانية في الربيع حيث تزهر الطبيعة و تزداد خصوبتها بقيامه.

2) فراس السواح: مدخل إلى نصوص الشرق القديم،مرجع سابق،ص : 36.

3) ديوان الأساطير ـ سومر و أكاد و آشور ـ قاسم الشوّاف،ج 1،

تطوّر الزواج المقدّس من ذلك الطقس الزراعي القديم، و لم يأخذ صورته الواسعة و الشاملة و الكبيرة إلّا في زواج "إنانا" من "دموزي" و قد وضع صموئيل نوح كريمر كتابا كاملا في طقوس الجنس المقدس و جمع فيه صورة الزواج الإلهي المقدس السومري، و يمكن تلخيص مراحلها بالنقاط المتتابعة التالية:

1. اختيار إنانا لدموزي من بين الآخرين و يتضمن ذلك دعوته و تفضيله.
2. استحمامها بالماء و الصابون.
3. التودد و الخلوة.
4. إقامة السرير المثمر في حرم الآلهة و تطهيره و إعداده.
5. "قيامة نشوبر" (وزير إنانا) لدموزي إلى حضن عروسه.
6. المضاجعة و إخصاب الكون كلّه.[1]

و من أجل معرفة العلاقة بين الإخصاب الإلهي الجنسي الطابع و الإخصاب الطبيعي الزراعي الطابع نختار هذا المقطع من قصيدة سومرية تصف هذا المشهد:

لعلّ الرب الذي دعوته إلى قلبك

الملك، زوجك الحبيب يتمتّع بأيام مديدة على حضنك الحلو،

المقدّس امنحيه حكما عظيما و مجيدا

امنحيه عرش الملك على أساس مكين

امنحيه القدرة على تدبير شؤون الناس، الصولجان

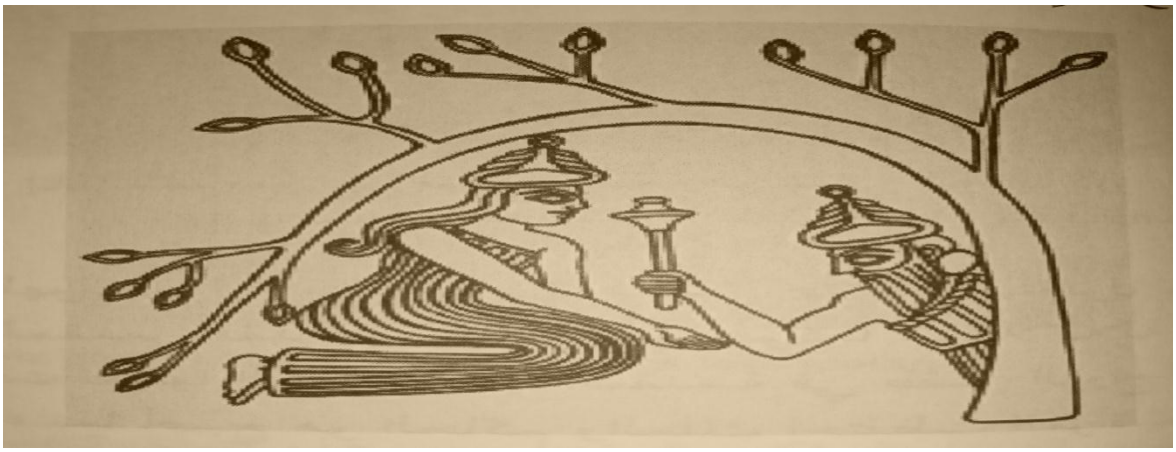

صورة من رقيم طيني للإلهة إنانا و الإله دموزي و هما تحت شجرة الحياة.من كتاب إنكي،خزعل الماجدي، ص 655 .

على الرغم من عدم كون الإلهة"إنانا"هي الصورة الوحيدة التي انحلت إليها صورة الأم السومرية الكبرى في وادي الرافدين، إلّا أنَّها كانت الصورة الرئيسية التي كان لها ديانة منظمة و معابد و عباد، جعلتها المرأة و الأنثى و الأم المقدسة.

1) طقوس الجنس المقدس عند السومريين ـ إنانا و دموزي ـ، صموئيل نوح كريمر، مرجع سابق،ص ص :23، 135.

3: إيزيس في الأسطورة المصرية:

تعتبر الأسطورة المصرية بنصوصها المتمثلة في التعاويذ و الأناشيد، الصورة الأخرى التي نسجت لنا أشكالا تقديسية للمرأة و الأم، و تمثلت هذه الصورة في "الإلهة إيزيس"[1].هذه الإلهة التي مثّلت أقنوما مهما من أقانيم الألوهية المسؤولة عن الخلق المصرية، و التي أعادت صورة الأمومة التاريخية التي عُرفت في العصر الحجري، و التي اتصلت مباشرة بالأقنوم الآخر للألوهة الإله "أوزيريس" و الذي يرتبط إلى حد كبير بها، ارتباطا تقديسيا، ألوهيا و رمزيا.

كانت "إيزيس"حاضرة بقوّة أيضا بجانب الرجل في الحياة الآخرة، معه تتعبّد[2]حيث يذكر جيمس فريزر في كتابه:الغصن الذهبي بأنّها إلهة الحنطة و الخضرة،و ربّة الخبز[3]

و هي ربّة القمر و الأمومة،و كانت الابنة الأولى ل"جب"[4] و نوت[5]ولدت حسب الأسطورة المصرية في مستنقعات الدلتا في اليوم الكبيس الرابع. اعتلت العرش إلى جانب زوجها و أخيها "أوزير"(أوزيريس) و مساعدته في عملية تحضير مصر،فعلمت النساء طحن الذرة، و غزل الكتّان و حياكة القماش، كما علّمت الرجال فنّ شفاء الأمراض و عودتهم إلى الحياة الأسرية، و بعد أن أعادت الحياة لزوجها القتيل عن طريق السحر و شعائر التحنيط، انسحبت إلى مستنقعات الدلتا خوفا من انتقام أخيها "سيت" القاتل، و تفرغت لتربية ابنها "حورس" و جهزته للانتقام لأبيه من عمّه "سيت".

اشتهرت بالسحر، و لم يكن الآلهة أنفسهم بمنجاة من سحرها،كما يوضح ريتشارد باتريك في قوله:" كان سحرها متحدا مع حكمة "تحوت" (إله الحكمة و الكتابة) و كان يمنح للبشر باعتباره طريقة ـ خصوصا ـ في العلاج و من ثمَّ كانت تروى العديد من القصص الخاصة بها مرارا لكي تعلّم الناس تعاويذ الشفاء الخاصة، التي كانوا يحتاجونها لعلاج أمراض مزمنة متعددة ابتداءً من أنواع الحمى إلى لدغات الحيوانات.

عادة كانت تجمع هذه الأنواع من العلاج في صحائف طبية (تكتب على البردي) و عندما يمرض شخص ماكان المعالج يرجع إلى الصحيفة المناسبة، فمثلا كان المريض بالحمى أو الحرق يحل موتا محل "حورس" في حين يمثّل المعالج "إزيس"، كان المعالج يتلو التعويذة المحددة على سلطانية تحتوي على خليط من اللبن البشري و الصمغ و شعر القطط ثمَّ يدهن هذا المرهم الخشن على جسم المريض، و الذي كان غالبا يشعر ببعض التحسّن.[6]

عُبدت في جميع أصقاع مصر، حتّى أنَّها استوعبت إليها بقية الأمهات، ثمّ تجاوزت عبادَتها حدود مصر خلال الحقبة الهيلينستية و الرومانية، حتّى وصلت ضفاف نهر الراين في وادي النيل بقي عبّادها على إخلاصهم لها حتّى منتصف القرن السادس الميلادي عندما أُغلق معبدها الرئيس في مصر و تحوّل إلى كنيسة.

---

1) اسم "إيزيس" هو الشكل اليوناني للإسم المصري "أسيت" أو "إيسيت" و يعني: المتربعة على العرش.

2) منذر الحايك: كتاب الموتى ـ وهم الخلود ـ دار آرام، دمشق، سوريا،2019م، ص:12.

3) جيمس جورج فريز،الغصن الذهبي،تر:نايف الخوص،دار الفرقد،دمشق،سوريا،2014م،ص:499.

4) هو أحد أعضاء التاسوع بهليوبوليس،و هو إله الأرض.

5) إلهة السماء، و ترسم عادة مرصعة بالنجوم.

6) ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة،تر : أحمد قدري ،القاهرة، مصر،دار الشرق،ط1، ،1999،ص54.

صُورت الإلهة "إيزيس" في الفن التشكيلي على هيئة امرأة تضع على رأسها تاجا يتخذُ شكل قرني بقرة بينهما قرص و تحف به ريشتان ـ كما يوضح هذا الشكل المرفق في آخر البحث ـ ، كما نجدها أحيانا بجسم بشري و رأس بقرة. و نجدها إلى جانب زوجها تساعده أو تحميه بذراعيها المجنحتين، أو نراها تنوح و تولول عند أسفل التابوت، أو في وضعية الأم المرضع و هي تلقم ثديها لابنها حورس أو تعاضده في صراعه مع :سيت".[1]

و نظر المصريون القدماء إلى الرّبة "إيزيس" ليس فقط على أنّها أخت "أوزير" و زوجته ، و لكن أيضا باعتبارها نموذجا للأم المخلصة التي كانت ترعى و تحمي ابنها "حورس".

أ: إيزيس إلهة الخصب المصرية:

كما كانت عقيدة الخصوبة ذات أهمية في الأسطورة السومرية مع "إنانا" فهي بالأهمية الرمزية أيضا في العقيدة المصرية مع "إيزيس" لتعلقها المباشر مع الزراعة ـ كما أسلفنا الذكر. و إذا نظرنا من زاوية الخصوبة و الجفاف إلى الآلهة الأربعة (أوزير إله الخضرة)، الإلهة إيزيس(زوجة أوزير و رمز الأنوثة المقدسة)، (الإله ست إله الصحراء و الليل و هو رمز الشر)، الإلهة "نفتيس"[2]فيمكننا القول أنّ هذه الآلهة تمثّل صراع الحياة الخصبة ضد جفاف الموت في مصر النيل، الذي يسبب خصوبة الأرض و إنتاجها للمحاصيل، و رغم أنّ الأساطير حاولت أن تؤكد على جانبي الخصبي و العاطفي، في رسم صورة هذه الآلهة.و إيزيس الذي يعتبر معنى اسمها هنا خاصا و الذي يشير إلى من ظهور الشمس في الأفق(الغسق)

و الإلهة الأم التي هي رمز الإخصاب الجنسي، هو نتاج الزراعة و وجودها أصبحت ضرورية لإدامة الزراعة و خصوبة الأرض.[3]

و لأن المرأة هي مكتشفة الزراعة عمليا، فلقد أصبح المصري مثالا على رمزية "إيزيس" في هذا مواطنا يعطي أهمية لهذه المرأة التي أسهمت في تخليد النيل،و زيادة الاتصال بين السماء و الأرض، بين الحياة و الخصب.

ب: أسطورة إيزيس و أوزير:

بالحديث عن "إيزيس" لابد وأن نذكر الأسطورة المتعلقة بها مع "أوزير"، لأن الطقوس المصرية ارتبطت بها هي وزوجها "أوزير" . وتقوم الأسطورة على أن "أوزير" إله الخصوبة أو النيل أراد أن يكون مملكة إلهية فعمل على تكوينها منه ومن أخته ومن زوجته إلهة الحكمة والتشريع والسحر "إيزيس" ووزيره إله التدبير والعلم "توت" ، لكن "ست" إله الشر وأخو"أوزريس" حقد على أخيه ودبر له الشر ، فصنع له تابوتا جميلا على مقاسه وأغراه بالنوم فيه ، ثم أغلق عليه وألقى به في النيل.

بحثت "إيزيس " عن زوجها حتى عثرت عليه ، لكن قبل فتحها للتابوت هاجمها "ست" واستولى على التابوت بالقوة ، ومزق أخاه إلى اثنين وسبعين قطعة بعدد مقاطعات مصر آنذاك ، فنثر في كل مقاطعة جزءا من أجزاء أخيه "أوزريس" .

---

1) فراس السوّاح: مدخل إلى نصوص الشرق القديم،دار علاء الدين،دمشق، سوريا،ط1، 2006 م،ص: 21.

2)إحدى الآلهات القديمة في الميثولوجيا المصرية،و ربة الموت، و أخت سيت كانت لها القدرة على إحياء الموتى،نقلا عن:ماكس شابيرو: معجم الأساطير،ص:182.

3) خزعل الماجدي:السحر و الدين ـ في عصور ما قبل التاريخ ـ مرجع سابق،ص:226.

لكن "إيزيس" لم تيأس وطافت في جميع المقاطعات لتجمع أشلاء زوجها ، وأعادت تركيب جسده من جديد ، ثم قرأت عليه بعض التعاويذ والرقى السحرية فعاد إلى الحياة مرة أخرى .

رغم أن عودته لم تكن لمدة طويلة إلا أنه أنجب خلالها ابنه الوحيد "حورس".[1]هنا تظهر قوة وشجاعة "إيزيس" كامرأة في استرجاع حق زوجها ، بإعادته إلى الحياة من جديد.

صورة و تمثال، يمثلان الإلهة إيزيس مع أوزيريس. التمثال يظهر الإلهة إيزيس و هي ترضع ابنها حورس

حين حملت "إيزيس" هربت من مطاردة "ست" وبعيدا عن أعينه. وقد وضعت ابنها "حورس" على أحراش الدلتا . هددت هذا الصبي عدة أخطار ، لكنه نجى منها بيقظة وعناية أمه ، فكانت صورة الأم مع رضيعها من أحب الصور عند المصريين القدماء التي تمثل الإلهة الأم وعلى حجرها رضيعها ، والتي تشبه إلى حد بعيد صورة العذراء مريم وابنها المسيح .

ترعرع "حورس" في الخفاء تحت أعين أمّه ، ولما كبر قاتل ضد عمه "ست" فانتصر عليه وشوه صورته ، ثم أخذته أمه "إيزيس" إلى قاعة المحاكمة فحياه الآلهة قائلين :*" أهلا بك حورس يا ابن أوزيريس أيها الشجاع مخلص حقه ابن إيزيس ووريث أوزيريس "*

نستنتج أن أهمية ودور "إيزيس" لم تقف على قصة زوجها فقط . فلما اشتد النزاع بين ابنها "حورس" وعمه "سيت" الذي أنكر نسب ابن أخيه ، ورفع دعوى أمام محكمة الآلهة ، هنا هبت "إيزيس" للدفاع عن ابنها وشرفها ، فقضت المحكمة بإثبات النسب لابنها بشهادة "توت" وانتصرت "ايزيس" مرة أخرى.

لقد كانت هذه الأسطورة من أكثر الأساطير شعبية بين المصريين، واكتسبت من خلالها إيزيس حب وتقديس المصريين. فهي التي من حبّها لم ترضَ للموت كنهاية فأخذت تبحث عن جثة زوجها و هي ترثي له و تندب، لتجده في الأخير و تدفعته المياه إلى هناك، لكن بطريقة ما تبعها "ست" و لم يتركه و خطف منها الجثّة و قطّعها إلى 72 قطعة و نثرها في مناطق مصر كلّها، و كما نعلم حيثيات هذه القصة المشهورة التي ذكرت في العديد من المصادر، فهي تشبه إسقاطا إلى حد كبير رمزية نزول "إنانا" إلى العالم السفلي من أجل "دموزي".

كانت إيزيس النموذج المصري للأم المثالية الموجودة في كثير من الأساطير لشعوب مختلفة و التي يمكن لأي امرأة في أية ثقافة أن تتأسّى بها كما يقول عالم الأساطير دونالد ماينزي:

"كان نموذج الأم المثالية ربة عذراء تمثل جنس النساء(يعني صفات المرأة التقليدية) و قد تنوعت خصائص الأمهات الربّات المتعددات و المتنوعات في مختلف المواقع ..كانت واحدة تمثل روح الأرض، و ثانية تمثل روح الماء و ثالثة تمثل روح الهواء أو

1) ابراهيم محمد ابراهيم: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، ط1،القاهرة،مصر،دار مطبعة الأمانة،ط1، 1985م،ص ص:61 ،62.

السماء.. و قد جمعت إيزيس كل الخصائص الجوهرية لتلك الأمهات المثاليات و اللاتي كنّ يعتبرن في عيون المصريين صورا مختلفة لها"[1]

أنا امرأة مفيدة لأخيها

أنا زوجتك و شقيقتك و أمك

عد إذن إليّ، على جناح السرعة

لأنّي أشتاق لمشاهدة وجهك من جديد،منذ الزمن الذي

لم أتمكن من تأمّله في فالظلام يبقى لنا هنا

في عيوننا و إن كان رع في السماء

إنَّ السماء و الأرض متحدتان و الظلام يخيم اليوم على الأرض

إنَّ قلبي يخترق لانفصاله عنك، يا للويل.

إنّي أطأ الأرض و لا أكلّ أبدا عن البحث

في داخلي حرارة بسبب حبي لك

تعال لأراك

إنّي أبكي على وحدتك

تعال إليّ، على جناح السرعة لأني أشتاق لرؤياك

سوف تحمى، تحمى في سلام[2]

وكان المصريون يعبدونها عبادة قائمة على الحب و الإخلاص، فصوروا لها صورا من الجواهر لأنها في اعتقادهم أم الإله، وكان كهنتها الحليقون ينشدون لها الأناشيد.

وكان تمثالها وهي ترضع ابنها – الذي حملت به في معجزة من المعجزات – في ربية صورة مقدسة لديهم ، حيث كانت توضع في معبد ابنها "حورس" في منتصف فصل الشتاء من كل عام ، أي في الوقت الذي يتفق ومولد الشمس السنوي في أواخر شهر ديسمبر.

1) دون ناردو: الأساطير المصرية، تر: أحمد السرساوي، مر: علاء الدين شاهين، تع: علاء الدين شاهين، المركز القومي،ط1، 2011م،،ص:64.

2) نفس المرجع،ص:70.

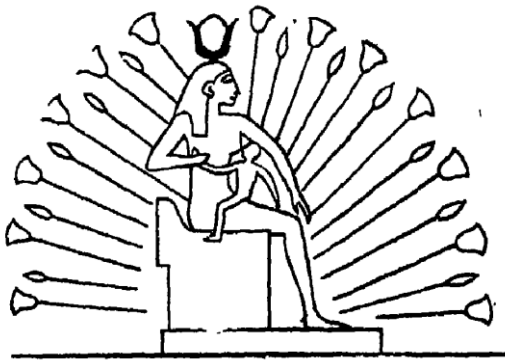

تمثال و صورة يمثلان الإلهة إيزيس و هي ترضع ابنها حورس في الدلتا.

و نلاحظ مما سبق أن "إيزيس" كانت سببا في انتصار زوجها "أوزير" على الموت، كما كان لها فضل عظيم في تبوء ابنها المكانة العليا بعد انتصاره على "ست" ، حيث توّج ابنها ملكا للعالم وإلها في نفس الوقت بفضل حرصها وجهودها . ولهذه المعاني الأثر العميق في المسيحية فيما بعد .

إن لهذه الأسطورة طابع مميز جعلها تلهب مشاعر وأحاسيس المصريين، وما ميّز الأسطورة

هو وفاء الزوجة لزوجها وحبها له ، وبحثها عمه في كل مكان ، وكذا حبها لرضيعها وتخليصه من مكائد عمه "ست".

و للأهمية التي توليها الأسطورة المصرية للإلهة "إزيس"، سنورد نصا يعد دليلا على ذلك،حيث أورده أبوليوس وهو عبارة عن صلاة مرفوعة إليها (إيزيس) في كتابه التحولات يقول فيها :

"أيتها القديسة ، منقذة الجنس البشري الأزلية ، المدافعة دوما عن البشر الفانين ، أنت تعدين نفسك وقت الرزايا، أيتها الأم الرؤوم، ليس ثمة نهار ولا ليل، ولا حتى دقيقة قصيرة تمر إلا وهي مكلوءة بعطاياك وأعمالك الطيبة، تجيرين النَّاس في البحر وعلى اليابسة، وفي زوابع الحياة تمدين بساط النجاة، وترمين شباك القدر الذي لا راد له، وتهدئين حنق المصير، وتروّضين شر حركة الكواكب،يبجلك الآلهة العليّون، ويسجد لك آلهة الظلام السفليون أنت تديرين حلقة العالم، وتشعلين الشمس، وتوجهين المعمورة،

تستجيب لندائك الكواكب، أنت ينبوع تعاقب الأزمنة، وفرح من يسكن السماء، وربّة البيئات بإيماءة منك تشتعل النيران، وتتكاثف الغيوم، وينبت الزرع، وتصعد الشروقات. قواك تخيف طيور السماء، والكواسر الشاردة في الجبال، والثعابين المختبئة تحت الأرض،والوحوش العائمة فوق الأمواج ، ولكنني أمجدك طمعا في الثواب ، أنا فقير العقل "[1]

من خلال النص الذي يظهر قداسة للإلهة "إيزيس"، يوضح فيه كاتبه العديد من النقاط التي تجعل هذه الإلهة قد أوليت مكانة عظيمة بين الآلهة و بين البشر،حتى أنّه يمكننا جعلها ضمن الخط الرمزي التقديسي مع "إنانا"و هذا وجه آخر للشبه و الإسقاط..في عبارة"يسجد لك آلهة الظلام السفليون" نفهم بأنّ لها تأليها في العالم السفلي و هو الذي يشبه التأليه الخاص بالإلهة "إنانا".

إنَّ إيزيس الماهرة، التي صانت أخاها

1) رندل كلارك: الرمز و الأسطورة في مصر القديمة،تر: أحمد صليحة،الهيئة المصرية،القاهرة،مصر،1988م،ص:120.

و بحثت عنه

و لم تدخر وسعا حتى وجدته،

قد ظللته بريشها و منحته الهواء بجناحيها،

و صاحت من فرط سعادتها، و عادت بأخيها إلى الوطن

من خلال هذا النص الذي يوصف بالأنشودة و الذي يبيّن أكثر تلك الأسطورة التي جمعت" إزيس" و "أوزير" من جديد، و يبين كيف أسهمت هذه الإلهة في إنقاذ هذا الإله.

صورت متون التوابيت[1] إيزيس ترضع الطفل بإعطائه إصبعها يمصّها بدلا من ثديها، كذلك راحت كل ليلة تلقيه في النّار بغية إتلاف جانبه الفاني،فيما كانت تحول نفسها إلى طائر السنونو، و تطوف حول العمود نادبةً حظها العاثر، ظلّت على هذه الحال بعض الوقت إلى أن كانت فيه الملكة تراقبها فرأت الطفل ملقى في النّار فصاحت مذعورة، فكان أن حرم الطفل من نيل الخلود الذي كان مقدّرا له أن ينالَه"[2]

وضعت إيزيس ابنا لأوزوريس هو حورس

ملكا على عرش والده

و التي ملأت السماوات و الأرض بكاملها

تاج من إيزيس المشرقة بالذهب

الرب أغسطس الذي هو

كائن في مركزه المقدس بين الآلهة في السماء

وصي عرش الآلهة على الأرض

و قاهر آلهة الدوات

و بفضله تصبح المرأة ملكة على مصر

سيدة الدولة العظيمة

سيدة النوبة

ملكة مصر العليا و السفلى

إيزيس الأم المبجلة و الإلهة المقدس[3]

نلحظ أسطورة أخرى ذكرت على شكل تعويذة عالجت فيها "إيزيس" طفلا بالسحر .. و هذا يقارب إلى حد بعيد ما شهدناه سابقا في نص "إنانا" (عشتار) التي عالجت "النبيل" تقول التعويذة:

---

1) انتشرت متون التوابيت في عهد الدولة الوسطى التي انتقدت مفهوم بناء الأهرام في الدولة القديمة،

2)خزعل الماجدي:الدين المصري،مرجع سابق،ص:244.

3) واليس بدج: الديانة الفرعونية،تر: ناهد خياطة،دار علاء الدين،دمشق،سوريا،ط3،دس،ص:59.

"لا تخافي أنا الربّة إيزيس، أعطني ابنك و سوف أعالجه، ناولت الأم طفلها بسرعة و هي لا تمتلك نفسها من الرعب، فحملته "إيزيس" بحنان بدأت الربّة حينئذ تتلو تعاويذ متنوعة، ذاكرة كل أسماء العقارب، و مسيطرة بقوّتها عليهم و على سمومهم"[1]

خاتمة:

هكذا تعاملت الأسطورة المصرية مع المرأة و الإلهة "إيزيس" كأم تبحث عن الأب و تصونه و تحافظ على الابن و تساعده، و يعتقد أنّ التركيبة الاجتماعية الأسطورية كان لها مغزى استراتيجي في الثقافة المصرية عبر العصور، فهي التّي نقلت هذا التقديس من المرأة إلى الأم إلى الإلهة. و أسقط هذا على المجتمع و على العائلة، حيث كانت "إزيس" نموذجا أسريا رمزيا لكل صورة امرأة في المجتمع، و لكل صورة أم في الأسرة.

فكما عرفت المرأة قداسة جعلتها تأخذ مكانةً مهمة بصورة "إيزيس" في النصوص المقدسة المصرية، فكذلك كانت بتلك المكانة في الأسطورة السومرية بصورة "إنانا" و المرأة هنا إذا تقدست فهذا لرمزيتها في أهمية هذا التقديس، و جعله يصنع لها هذا المكان.

قائمة المصادر والمراجع:

السواح ف. (2010). *لغز عشتار* (2010 ط، م 1). سوريا: دار علاء.

القيم ع. (1997). *المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة*. دمشق سوريا: دار الأهالي.

الماجدي خ. (2017). *السحر والدين*. دمشق سوريا: دار نينوى.

البديل م. (2010). *سحر الأساطير*. دمشق سوريا: دار علاء الدين.

الماجدي خ. (1998). *متون سومر*. بيروت لبنان: دار الأهلية.

الماجدي خ. (2012). *كتاب إنكي* (م 2). بيروت لبنان: المركز الثقافي العربي.

كريمر ص. ن. (2007). *طقوس الجنس المقدس عند السومريين*. دارسلان.

الماجدي ا. (2019). *الميثولوجيا السومرية*. بيروت لبنان: دار نينوى.

الماجدي خ. (2015). *أنبياء سومريون*. سوريا دمشق: دار نينوى.

خزعل ا. (2016). *الديانة السومرية*. دمشق نينوى: دار نينوى.

السواح ف. (1999). *مدخل إلى نصوص الشرق القديم*. دمشق سوريا: دار علاء الدين.

المعمور ن. (2012). *تفشير النص قراءة في أسطورة إنانا*. بيروت لبنان: دار المدى.

كريمر ص. (1997). *الأسطورة السومرية*. دمشق سوريا: دار نينوى.

الشواف ق. . (1996). *ديوان الأساطير*. بيروت لبنان: دار الساقي.

دون ن. (2011). *الأساطير المصرية*. دار علاء الدين.

بدج و. (1989). *الديانة الفرعونية*. دمشق سوريا: دار علاء الدين.

رندل ك. (1988). *الرمز والأسطورة في مصر القديمة*. الهيئة المصرية.

ياروسلاف ت. (1999). *الديانة المصرية القديمة*. مصر: دار الشرق.

فريزر ج. (2019). *الغصن الذهبي*. دمشق سوريا: دار فرقد.

1) الأساطير المصرية، دون ناردو، مرجع سابق، ص:61.